مأساة الموريسكيين الأندلسيين
التنصير والتعميد

د. دلباز محمد
جامعة د .الطاهر مولاي . سعيدة

ملخص

سقطت غرناطة 1492م، في يد الملكيين الكاثوليكيين، بدأت مرحلة من حياة الموريسكيين الأندلسيين المسلمين الذين تظاهروا بالمسحية وأبطنوا الإسلام وفضلوا البقاء في اسبانيا بعد الوعود التي منحت لهم عند توقيع معاهدة غرناطة– التي سادها الظلم والاستبداد، وفرضت قوانين الارتداد الإجباري، ونصبت لهم محاكم التفتيش الرهيبة، والإبادة الجماعية للعنصر العربي في اسبانيا.

الكلمات المفتاحية:

غرناطة، الموريسكيين، الكاثوليك، محاكم التفتيش

مقدمة

بقيت دولة بني الأحمر وحدها تصارع النصارى نحو قرنين من الزمان إلى أن أسلم آخر ملوكها مفتاح قصوره وحصونه للملكين الكاثوليكين "فيرنا ندو وإيزابيلا Fernando Isabell . سقطت آخر المعاقل الإسلامية بغرناطة عام 897هـ (1492 م)، انتهى حكم المسلمين للأندلس، لكن بقي شعب مسلم يعيش بهذه البلاد في ظل وحماية المملكة النصرانية، ولم تغفل معاهدة التسليم حقوق هذه الشعب.

ويعنينا أن نبرز منها تعهد الملكين النصرانيين بترك أبي عبد الله والقادة والوزراء والعلماء والفقهاء والفرسان وسائر الشعب تحت حكم شريعتهم وألا يؤمروا بترك شيء من مساجدهم وصوامعهم، وأن تترك لهذه المساجد مواردها كما هي، وأن يقضى بينهم وفق شريعتهم وعلى يدي قضاتهم، وأن يحتفظوا بتقاليدهم وعوائدهم وألا يؤخذ منهم خيلهم أو سلاحهم الآن أو فيما بعد. ولا يرغم أحد من المسلمين أو أعقابهم الآن، أو فيما بعد على تقلد شارة خاصة بهم... ولا يسمح لنصراني أن يدخل أماكن عبادة المسلمين دون ترخيص؛ ومن يفعل ذلك يتعرض للعقاب. وقد أقسم الملكان بدينهما وشرفهما الملكي بأن يحافظا، ويأمران بالمحافظة على ما يحتويه هذا العهد بندا بندا، ووقعا على ذلك ومعهما جمع كبير من الأحبار والأمراء والأشراف والعظماء.

والسؤال، هل حافظ الملكان ورجال الدين على البنود التي تعهدوا بالمحافظة عليها مؤكدين ذلك بالقسم والشرف الملكي ؟ ! فقد تنكر الملكان ومعهما كل المسؤولين لما تعهدوا به، أدار الكل ظهره لبنود المعاهدة ووثائقها بندا وراء بند، وحمل الجميع المسلمين حملا على اعتناق النصرانية وإلا فلهم الويل والتعذيب والتحويل على محاكم التفتيش بل كل ما تمثله من قهر ومصادرة وإعدام وتحريق. لم يكن هناك إلا اختيار صعب: التحول إلى النصرانية أو معاناة سجن شديد وتعذيب ونتيجة لهذا هاجر الكثيرون، ومن بقى بقي وضحا في ذهنه أن التحول إلى النصرانية كان بالقوة.

مأساة الموريسكيين [1]

يصف مارمول المؤرخ الاسباني الذي عاش قريبا من سقوط غرناطة، وما تلاها من أحداث، نيات الكنيسة نحو المسلمين في قوله: " انه منذ استولى فرديناند على غرناطة، كان الأحبار يطلبون إليه بإلحاح، أن يعمل على سحق طائفة محمد من اسبانيا، وان يطلب من المسلمين الذين يودون البقاء، أما التنصر أو بيع أملاكهم والعبور إلى المغرب، وانه ليس في ذلك خرق للعهود المقطوعة لهم، بل فيه انقاد لأرواحهم، وحفظ لسلام المملكة، لأنه من

[1] قضية الإسم واللقب "الموريسكيين" أي العرب الأصاغر، الذي نبز به الإسبانيين الأندلسيين المغلوبين على أمرهم، بعد سقوط حاضرتهم غرناطة، كما نبزوا قبل ذلك الأندلسيين، الذين رضوا بالمقام تحت النفوذ المسيحي بعد احتلال مدنهم بالموديخا، أو بالأحرى كرسوا هذا الوصف القدحي المحرف عن المدجنيين الذي نجده في كتب الحسن الوزان، وأحمد قاسم الحجري أفوقاي، ومحمد بن عبد الرفيع المرسي، وإبراهيم غانم الرباش وغيرهم، وكلهم أندلسيون مهاجرون. أنظر: محمد، حجي، الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب الأقصى، المجلة الأكايدمية المغربية، الرباط، دارالمعارف الجديدة،الرباط، سنة 2001 ص 59-60. الموريسكي هو في الأصل ومنظار القانون هوية أندلسية، أي اسبانية فوق أي اعتبار آخر، دينيا كان أو لغويا أو ثقافيا إلى ذلك. فالموريسكي كان إسبانيا مسلما قبل هذا الإعتداء، الذي أدى إلى سقوط غرناطة 1492م، ثم أصبح اسبانيا من الدرجة الثانية على أرض الواقع، ومن حيث الملة نصرانيا بالتقية، بعد أن رفض الانسلاخ عن جذوره الإسلامية والقبول بالتنصر.أنظر: إسماعيل، العثماني. الموريسكيون في الكتابات الأجنبية، المجلة الأكاديمية المغربية، الموريسكيون في المغرب. الندوة الثامنة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب الأقصى، سنة 2001م، ص 189.

تطلق كلمة الموريسكيين (بالاسبانية moriscos وبالفرنسية morisques)على المسلمين، الذين بقوا في اسبانيا بعد سقوط غرناطة، في أيدي الملكين المسيحيين فرناند، وإيزابيلا. عبد المجيد،التركي، وثائق عن الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى تونس، حوليات الجامعة التونسية، العدد الرابع سنة 1967، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص 74.

فكان عليهم إن يستجيبوا لشرعية الخيارات الثلاث، إما التنصير وإما الموت وإما الجلاء. وفور دخول قرار 1502م حيز التنفيذ، أصبح الذين اعتنقوا الديانة المسيحية طواعية أو كرها، باطنيا أو ظاهريا، وكذلك الذين فضلوا روح المقاومة يعرفون في كتب التاريخ باسم الموريسكيين moriscos، وهي تسمية جاءت كرد فعل على تلك التسمية القديمة التي أطلقت من طرف العرب المسلمين على الذميين أو المسالمين الذين ضلوا على دينهم، فكانوا يعرفون باسم "المستعربين"(mozarabes) عبد الله، حمادي، الموريسكيون الأندلسيون وحماكم التفتيش 1492-1616م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار التونسية للنشر 1989،ص 51.، أصبح الواحد يعرف بين الناس بلقب الموريسكي el moro تصغير لكلمة (المورو) el morisco بمعنى المسلم، فاللقب الجديد يقصد به الإشارة ذلتهم وحقارتهم والتقليل من قدرهم.أنظر: عبد الله، حمادي، الموريسكيون الأندلسيون ، ص 50.

للمزيد من المعلومات أنظر: دلباز محمد ، "الاطار الديني و التاريخي للتسمية "، مجلة الحوار المتوسطي، عدد 4 ،

المستحيل أن يعيش في صفاء وسلام مع النصارى، أو يحافظوا على ولائهم للملوك ما بقوا على الإسلام، وهو يحثهم على مقت النصارى أعداء دينهم"[1] أنهت ايزابيلا وفرناندو عملية امتلاك غرناطة، وأعادت توزيع سكانها، ورحلت إلى اشبيلية تاركة المدينة، في يد فرناندو دي لافيرا والكونت تونانداد الحاكم العسكري العام لغرناطة، وهو ينتمي إلى عائلة مندوزا المشهورة، أما الثالث فهو هرناندو طلبيرة، الذي عين أول رئيس لأساقفة غرناطة، كان قبل ذلك كاهن الاعتراف بالملكة ايزابيلا[2] وتعيين هؤلاء الثلاثة يعطي الانطباع بأن الملكين أخطأ في بداية طريق المحاولة أهل غرناطة اعتناق النصرانية بالحسنى، أو على الأقل ضمان أهلها رعايا مخلصين للحكم القشتالي القديم، وكان لكل من الثلاثة أسبابه الخاصة في الانتقال خطوة خطوة وبحذر كبير .

فالأول كان عارفا بالعربية، ملما بعادات وتقاليد العرب، وحضارتهم حريصا على الظهور

بمظهر الصديق، لأنه كان يعرف أن تلك الطريقة، أفضل ما يمكن أتباعه للحصول على تعاون من أهل غرناطة، أما الثاني فكان مهتما بالحصول على الضرائب من أهل غرناطة للإنفاق على جيشه، والثالث يعتقد منذ البداية أن إظهار الاهتمام بالعرب وكسب مودتهم،

يمكن أن يكون أصوب الطرق إلى تنصيرهم، ولهذا درس اللغة العربية وألم بثقافة العرب وتاريخهم، وترجم عدد من الكتب النصرانية إلى العربية[3] عينت الملكة ايزابيلا في عام 1495م، قسيسا يدعى فرانسيسكو خمنيس، كردنالا في طليطلة، وكان هذا الرجل عنيفا سريع الانفعال، لا يقبل المناقشة أو نقدا، ولكن استطاع بعد قليل أن يسيطر على الملكة.

وفي عام 1468 توفي الكاردينال توركيمدا المحقق العام، فسعى خمنيس الذي وصفه البعض بالورع والتزهد، بينما اعتبره آخرون شخصا متعطشا إلى السلطة، خلف ردائه الكهنوتي، ومظاهر التقوى والتعصب الكاثوليكي.[4] لدى الملكة لتعيين مكان توركيمدا رجلا من جماعته هو القسيس ديغو دي ديسا فاستجابت الملكة اطلبه.[5]

وبعد تعينه محققا عاما، أصبح خمينس عن طريق ديسا مسيطرا على ديوان التحقيق، وعن طريقه أصبح أقوى رجل في المملكة، وبعد قليل كلفت الملكة خمنيس بالذهاب إلى غرناطة، ليهتم بأمر المسلمين فيها، فوصلها في

---

[1] . محمد عنان ، عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مطبعة مصر، الطبعة الثانية،1985، ص296-297 .

[2] . ، أسعد، حومد، محنة العرب في الأندلس، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، سنة 1988م ، ص 224.

[3] -البشتاوي سعيد، عادل ، الأندلسيون المواركة، دراسة في تاريخ الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار أسامة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثانية، دمشق 1985،ص9.

[4] - لبشتاوي سعيد، عادل ،المرجع السابق، ص90.

[5] - حومد، أسعد، المرجع السابق، ص225.

سنة 1499م ليكون مسؤولاً مباشرا عن الجماعات التبشيرية، التي تعمل على تنصير أهلها،[1] وهو مزود بتفويض من المحقق العام ديسا.

وما كاد يستقر في غرناطة حتى أمر بمنع الزواج بين المسلمين والمسحيين، وحقق في بعض الحالات التي اعتبرها هرطقة وكفرا، واستعمل أساليب غريبة وعنيفة، بعيدة كل البعد عن الروح الإنسانية ولروح الأديان، ولما لفت نظره إلى منافاة تصرفاته ومناقضتها لمعاهدة الاستسلام، أجاب "إن المعاهدة غير مشروعة، لأنها تتعلق بمرتدين عن النصرانية، ويقصد بذلك إن أجداد المسلمين كانوا فيما مضى نصارى، ويجب أن يعتبر أنسالهم نصارى مرتدين، وأن الحقوق الكنسية تعارض المعاهدة ولا تعترف بها.[2] ومما شك فيه أن الملكين الكاثولكيين، كانا على اتفاق مع خمينس للقيام بهده الإجراءات، على الرغم من ادعاء بأنهما قد فوجئا بعملية التنصير القسري.[3]

فقد كان فرناندو يؤمن بأن وحدة العقيدة هي الأساس الأول، الذي يمكنه من توحيد اسبانيا المجزأة، كما أنه كان يخشى بأس المسلمين، ويرى مع الكنيسة أن احتفاظهم بدينهم يقوي أواصر الصلة، بينهم وبين إخوانهم في شمال إفريقيا والعالم الإسلامي بصفة عامة؛ ومن ثم فان تنصير المسلمين أو إخراجهم من البلاد هو الضمان الوحيد لسلامة اسبانيا ووحدتها.[4] وبدأ المسؤلون السياسيون و الدينيون وهم المنغلقون دينيا وحضاريا والمؤمنون بوجوب محاربة كل ما هو غير كاثوليك.[5]

طلب خمينس من طالبير بتقديم تقريرا عن نتائج نشاطه في غرناطة، وعن عدد المسلمين الذين تنصروا، ومن النتائج لم تكن مشجعة، وراح يحث أساقفة غرناطة على ضرورة إتباع الحزم في معاملة الأندلسيين، بهدف تسريع عملية تنصيرهم، كان طلبيرا يرى أن الهدف الأول يكمن في استمالة أهل غرناطة، والتقرب منهم بإظهار احترامه، لتاريخهم، وحضارتهم، ترجم خلال السنوات الأخيرة عددا من الكتب الدينية إلى العربية، ولكن محاولة ترجمة الإنجيل إلى العربية توقفت، عند إصرار الكنيسة على أن ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية سيكون عملا خطيرا، فاللغة العربية لغة نجاسة.[6] حاول طالبيرا إقناع خمينس بأن قسر أهل غرناطة على التنصير سيؤدي إلى الانفجار،

---

[1] – ذو النون، عبد الواحد، حركة المقاومة الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار المدار الإسلامي ط1. بيروت، لبنان2004 ص 18.

[2] – حومد، أسعد، نفي المرجع ، ص225- 226.

[3] – رزوق ، محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر والسابع عشر، سنة 1989 ص 58.

[4] – صباغ، ليلى، ثورة مسلمي غرناطة ً ، مقال بمجلة الأصالة الجزائرية، العدد27سبتمبر، أكتوبر1975، ص119.

[5] – التميمي، عبد الجليل، الدولة عثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية والتوثيق والمعلومات. زغوان، تونس 1989، ص. 54

[6] – البشتاوي سعيد ،عادل، المرجع السابق، ص91.

وأيده في هذا الرأي حاكم غرناطة العسكري تنديلا، ولكن خمينس كان يعرف الأوامر التي جاء لتنفيذها، التنصير أو القتل والتعذيب لمن بقي من المسلمين.[1]

أمام هذا الموقف تنحى طلبيرا عن سلطاته الحقيقية، وسلم خمينس مقاليد الأمور؛ وتوقفت عملية ترجمة الإنجيل، بناءاً على إصرار أساقفة قشتالة، كان خمينس الذي استخدم القوة، والإكراه في الحالات التي فشلت فيها الرشوة،[2] يعتقد أنه إذا تمكن من تنصير مجموعة كافية من أهل غرناطة، يستطيع إقامة فرع لمحاكم التفتيش بها، ويمكن عمالها من مباشرة نشاطهم فورا والتضييق على مسلمي غرناطة، ولكن دون وجود متنصرين لا يمكن من إقامة محاكم التفتيش فيها، ولا يمكن الشروع في الخطة التي رسمتها ازابيلا وخمينس وغيرهما من الحاقدين.

كان حي البيازين بغرناطة أكثر المناطق التي نشطت بها حركة التنصير، حيث حول مسجده في الحال إلى كنيسة سميت "سان سلفادور،[3] ، ثم قطعوا عنهم الأذان في الصوامع،[4] وأقدم خمينس على حرق الكتب الإسلامية في الساحة العامة وبلغ عدد مجلداتها آنذاك خمسة آلاف، دون وعي منه لقيمتها المعنوية أو الجمالية،[5] وزالت حرمة المسلمين وأدركهم الهوان والذلة، واستطال عليهم النصارى.[6]

واحتج بعض أكابر المسلمين على هذه الأعمال، ولكن ذهب احتجاجهم وتمسكهم بالعهود المقطوعة سدى. وثار أهل البيازين وتحصنوا بحيهم، ونددوا بخرق العهود وكاد يذهب ضحيتها خمينس لأنه حوصر،[7] فبذل رفقة حاكم المدينة، جهودا فادحة لإقناعهم بالهدوء والسكينة، وبذل لهم من التأكيدات والضمانات الكلامية ما شاءوا.[8]

إن ما حدث في غرناطة، حدث في باقي البلاد والنواحي الأخرى، فتنصر أهل البشرات وألمرية وبسطة ووادى آش في العام التالي أي في سنة 1500م، وعم التنصير سائر أنحاء مملكة غرناطة. كان التنصير بأساليب اللين والإغراء، بدأ بتوزيع الألبسة الحريرية على المتنصرين؛ ويقول المؤرخين الإسبان أنه دخل في المسيحية عدد كبير من الغرناطيين،

---

[1] – غلاب، عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، مغرب الأرض والشمس، دار الغرب الإسلامي، طبعة الأولى 1996، ص184

[2] –– ذو نون طه،عبد الواحد، دراسات أندلسية، دار المدار الإسلامي، ص230.

[3] – عنان ، محمد، عبد الله ، ص299.

[4] – نشرة الجمعية الخلدونية، المطبعة الأهلية، نهج الديوان، عدد 5 تونس 1930 ، ص 20.

[5] – حمادي، عبد الله، الموريسكيون الأندلسيون وحماكم التفتيش ،ص 43.

[6] – التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، مجموعة من المؤلفين، شركة النشر والتوزيع المدارس، 12 شارع الحسن الثاني، الدار البيضاء،الطبعة الأولى 1991، ص 259.

[7] – بدر، أحمد، تاريخ الأندلس، (التجزؤ، السيادة المغربية، السقوط والتأثير الحضاري). الفصل السادس :خروج الأندلسيين النهائي وأثرهم في أوربا والعالم. مكتبة أطلس، دمشق 1993، ص 365.

[8] – عنان ، محمد، عبد الله ، ص 299.

نتيجة لهذا الأسلوب حتى أن خمينيس اضطر إلى أن يُعَمِدَّ أربعة آلاف شخص دفعة واحدة بلا مراسيم دينية،[1] ويتخذ أحيانا على شكل هبات ومنح جماعية لبلدة أو منطقة بأسرها، كما حدث بالنسبة لأهل ألكرين والبشرات،[2] ولما رأى الفقهاء ورجال الدين، هذه الموجة قاموا بدوراً رائداً ومثاليا في سد أزر الموريسكيين وتلقينهم وتذكيرهم بقواعد دينهم وتعاليمه،[3] وقاموا بدور الموجه لمسلميها بما كانوا يصدرونه من الفتاوى حسب ظروفهم قوتاً وضعفاً،[4] فساء ذلك خمينس، وأمر بجمع فقهاء المدينة ودعاهم إلى اعتناق المسيحية، ولكنهم رفضوا دعوته وإغراءاته، فأرسل الشرطة فقبضت على الفقهاء والوعاظ، وسجنهم، وأمر بتعذيبهم و معاملتهم بالقسوة. ومن أشهرهم أحد الفقهاء غرناطة من بني الأحمر.[5]

كان خمينس يعتقد أنه لو استطاع استمالة الفقيه لتنصر المئات على الفور،[6] ولقيت تصرفات هذا القسيس معارضة من بعض النصارى، الذين استنكروه واعتبروه منافيا لروح الإنجيل وتعاليمه، إذ أن إدخال الناس في المسيحية، لا يمكن أن يتم بالعنف والإكراه، ولكن خمينس كان يهمه أن ينجح في مهمته، بأية وسيلة كانت، ولم تكن لتهمه المثل العليا والمبادئ الدينية الكريمة، وإنما كان يريد إرواء حقده من العرب والمسلمين.

ونتيجة تصرفات خمينس ورجاله، التي كانت تدفع المسلمين إلى الثورة، ورد الفعل؛ اندلعت عدة ثورات، في غرناطة 1499م، وثورة البشرات في أواخرعام 1499، ثم ثورة المرية عام 1500م، ثورة 1501م في قرى أهل المنصورة وأدرا على البحر، وثورة جبال روندة عام 1501، كانت نتيجة هذه الثورات :

مقتل عدد كبير من المسلمين، والنهب والسلب والاغتصاب، واسترقاق النساء والأطفال، فقد وصف إمام جامع غرناطة يوسف بنيغاش لشاب زاره من بني قومه وضعه بقولهٌ" بالنسبة لي لم يبكي أحد بمرارة كأبناء غرناطة، لا تشك بقولي لأني واحد منهم ولكوني شاهد عيانا، رأيت بعيني كل السيدات المحترمات أرامل ومتزوجات يعرضن للبيع، وشهدت بيع ثلاثمائة فتاة، وبالنسبة لي فقدت ثلاثة أبناء وابنتين إضافة لزوجتي وما بقي لي من عزاء سوى هذه الابنة، وهي في الشهر السابع من عمرها.[7] و فرضت المغارم الباهظة، والتخلي عن جميع الممتلكات، وترك فئات من أبنائهم في البلاد الاسبانية تحت رعاية أعدائهم، واحتفظ الإسبان بأبنائهم من ست سنوات من بينهم

---

[1] – حومد، أسعد، ص227.

[2] – حومد، أسعد، نفس المرجع السابق، ص 303.

[3] – التميمي، عبد الجليل ، المرجع السابق، ص 56.

[4] – الحمروني، أحمد، الموركيون الأندلسيون في تونس دراسة وبليوغرافيا، ميدياكوم الطبعة الأولى، تونس 1998، ص 15.

[5] – تسميه الرواية الاسبانية محمد الثغري، أسعد حومد ص227، ويسميه عادل سعيد البشتاوي،الشيخ الزيري أولصقري.

[6] – البشتاوي سعيد ،عادل ، ص92.

[7] – بدر، أحمد، تاريخ الأندلس التحزؤ،السيادة المغربية السقوط والتأثير الحضاري، ص367.

300 طفل في اشبيلية وحدها،[1] وتهجير الآلاف، ولم يتركوا للمسلمين الأحياء غير خيارين الموت أو قبول التنصير والتعميد، وقد فرض التنصير على المسلمين فرضا،[2] فأوقعوا فيهم السيف، وتنصر من تنصر منهم مرغما بعد ما هرب من هرب،[3] حيث تم تعميد المسلمين وهم جاثمون بين أنقاض بيوتهم، وبين جثث نسائهم وأطفالهم،[4] وكان للقسس ورجال الدين اليد الطولى في تأليف وتوجيه إلى البطش بالمسلمين.

قدم النواب الموريسكيين بالمجالس البلدية بغرناطة مذكرة، بمظالم إخوانهم تبين ما لحق بهم من اضطهاد وأذى على أيدي كاثوليكي غرناطة، نتيجة الأحكام القاسية التي كان أصدرها، الملك عام 1518م بحق الموريسكيين لكثرة ثوراتهم، فاتخذ من هذه المذكرة سبيلا لفتح ملفهم وللتشديد في نفس الوقت خشية أن يقوم منهم قائم جديد، فأمر أن تثار هذه القضية في مجلس خاص، وشكل لجنة ظاهرها تقصي الحقائق وباطنها اختبار تمسك الموريسكيين بدينهم الإسلامي.

اختار لهذه المهمة شخصيات مهمة، وبعد أن تحققوا من الظلم والاضطهاد الذي لحق بالموريسكيين، غضوا النظر في تقريهم عن الجرائم، المرتكبة في حقهم، وتبينوا أنهم بالرغم من المحن المتتالية لم يكن بينهم من يدين بالنصرانية. وقد رفعوا تقاريرهم عن تلك المظالم للملك، وبعد اطلاعه تبين له أن الموريسكيين كانوا يرغمون على اعتناق النصرانية، دون تلقينهم مبادئ الإيمان المسيحي، لذلك اجمع رجال الدين في إطار لجنة خاصة، وقضوا بأن الطريقة السابقة في تنصير الموريسكيين لم تعد مجدية، فلجئوا إلى أساليب أكثر دهاء وعنفا:[5]

- نقل محاكم التفتيش من بلدة جيان إلى غرناطة لتتمكن من إيقاع القصاص على من يرجع إلى الإسلام منهم.
- تغفر للموريسكيين كل الشرور والمغالطات المرتكبة حتى سنة 1526م ضد الإيمان الكاثوليكي، وينذرون بأشد العقوبات إذ لم يرتدوا عن ذلك.
- منع المسلمين من استخدام اللغة العربية، سواء في الخطاب أو الكتابة وعليهم أن يتعلموا اللغة الإسبانية ويكتبوا عقودهم ومعاملاتهم بها.
- على كل موريسكي أن يبدل ملابسه حتى تصبح متفقة مع ملابس الاسبان.

---

[1] – بن عبد الله، عبد العزيز، الأندلسيون لا الموريسكيون ، المجلة الاكادمية المغربية ، عدد خاص بالموريسكيين في المغرب، مطبوعة المعارف الجديدة،الرباط، المغرب الأقصى ص 63

[2] – هريدي علي، أحمد ، الأندلسيون، حياتهم الاقتصادية والاجتماعية في مصر العثمانية، (923- 1213هـ/1517-1798م) دراسة ميدانية عن مدينتي الإسكندرية ورشيد . أعمال المؤتمر العالمي العاشر للدراسات الموريسكية الأندلسية. منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات. زغوان، تونس 2003، ص 66.

[3] – الغساني ، محمد الأندلسي، رحلة السفير في إفتكاك الأسير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،الطبعة الأولى بيروت، 2002،ص78

[4] – حومد، أسعد، ص235

[5] – رزوق محمد، ص،79-80.

- يمنع الخياطون والصاغة من الخياطة أو الصاغة على النمط الموريسكي.

- منع اقتناء الموريسكيين العبيد والأسرى لخدمتهم.

استمرت المفاوضات السرية بين ممثلي الموريسكيين وبين الملك حتى قرَّ قراره أن يلغي القرارات المجحفة مقابل أن يدفع الموريسكيين للملك 80.000 دوكات، ducados وقد نفذ الموريسكيين ما التزموا به، فدفعوا المبلغ المذكور، وألغى شال الخامس سنة 1526م تلك القرارات، لكن إلى حين.

في سنة 1524م استطاع شارل الخامس أن يتحصل على براءة، أحل فيها الملك من اليمين التي أقسمها سنة 1519م (بالمحافظة على حياة المسلمين، وحريتهم وأموالهم؛ وامتيازاتهم وقضائهم، وحثه على الاهتمام بموضوع تحويل المسلمين إلى النصرانية في مملكة أرغون)، ونصح البابا كليمونت السابع، أن يكلف أعضاء ديوان التحقيق بإتمام عملية التنصير. أما إذا أصر أحد المسلمين على التمسك بالإسلام، فيحسن إخراجه من المملكة تحت طائلة استرقاقه مدى الحياة.[1]

كان الضغط على المسلمين يدفعهم إلى المخاطرة بأنفسهم، وأولادهم في سبيل الهجرة إلى شمال إفريقيا، نجاة بدينهم وحريتهم وأعراضهم، رغم ما في ذلك هذه المخاطر من عواقب وخيمة. فقد كانت الأوامر الملكية تقضي باسترقاق من يقبض عليه وهو يحاول الهرب، واسترقاق زوجته وأولاده ومصادرة أمواله،[2] ولكن برغم هذه المخاطر كانوا يتسللون باستمرار إلى شمال إفريقيا بمساعدة المغاربة، إذ يسجل المؤرخون سلسلة من الهجرات المتتالية.

أول هجرة مؤرخة بسنة 1526م:2200 موريسكي غادروا مملكة بلنسية. في سنة 1529هاجر200 موريسكي من بلدة oliva. وفي سنة 1532،غادر 2000 موريسكي منطقةcullera [3]

وأمام هذه الهجرات التي كانت تهدد المملكة بالبوار والخراب، تعالت شكاوى السادة الإقطاعيين، فأمر شال الخامس بدعوة لجنة مشتركة، من كبار رجال الدين والدولة عام 1525م، لمناقشة صحة التعميد الذي تم بالضغط والإكراه، وقد أعلنت اللجنة أن التعميد الذي تلقاه العرب يعتبر صحيحا، وبالتالي فإنهم مسيحيون حقيقيون، ويجب إجبارهم على الحياة النصرانية، وتعليمهم الدين وتعميد أبناؤهم.[4]

أما المسلمون غير المعمدين، فيجب أن يتلقوا التعميد خلال فترة معينة، وإلا أصبحوا عبيدا مدى الحياة. وقد جمعوا عرب بلنسية في الكنيسة، وأخبروهم أن لهم عشرة أيام لإعلان دخولهم في الدين المسيحي، وإلا تعرضوا

[1] – حومد، أسعد ،ص،239.

[2] حومد أسعد، المرجع السابق، نفس الصفحة.

[3] – رزوق، محمد ، ص 44.

[4] – رزوق، محمد ، ص 82.

للاسترقاق. لكن المسلمين لم يأبهوا بما سمعوا وشرعوا في بيع ممتلكاتهم وقرروا الهرب للنجاة بدينهم، ولما أدركت السلطة الاسبانية حقيقة الأمر منعت المسلمين من بيع أملاكهم.

ولكن المسلمون لم يرضوا بالتخلي عن دينهم مهما كلفهم الأمر، فاندلعت الثورة في المنطقة في أواخر 1525م. لم يستطع الأسبان إخمادها إلا بعد الاستعانة بجيش من الألمان؛ ففرض على المسلمين تلقي التعميد.[1]

لبثت السياسة الاسبانية أمام شرلكان إزاء الموريسكيين، تتردد بين الإقدام والإحجام واللين والشدة، بيد أنها كانت على وجه العموم أقل عسفا وأكثر اعتدالا منها أيام فيرناندو وايزابيلا. وفي عهده نال الموريسكيين كثير من ضروب الإعفاء والتسامح والرفقة نوعا ما، ولكنهم ظلوا في جميع الأحوال موضع القطيعة والريب، عرضة للإرهاق والمطاردة، ولبثت محاكم التفتيش تجد فيهم دائما ميدان نشاطها المفضل.

استمر قمع الموريسكيين في عهد فليب الثاني 963هـ - 1006هـ /1556م- 1598م وفليب الثالث 1006هـ -1030هـ/1598م .1621م من خلال إصدار الأوامر ضد الموريسكيين، إن التعايش بين المسحيين والمسلمين أصبح خطيرا بالنسبة للموريسكيين، بل وجب القول بالنسبة للمسحيين الجدد، ذلك أنهم أدركوا أن هؤلاء مازالوا أوفياء للديانة المحمدية، وهذا ما فسر تلقائيا امتثالهم بسرعة أمام محاكم الدواوين التي تعتبر قاسية، وتمنع الموريسكي من التمتع بكل حرياته الدينية، الثقافية، والاجتماعية.[2]

على الرغم من الأسلوب الذي اتبع لدمجهم واعتناقهم للمسيحية،[3] فإن السلطات الاسبانية لم تبخل بالوسائل ولا بأي إجراء معتدل كان أو ظالم، لتنفيذ سياستها الإدماجية؛ ومع هذا فإن الموريسكيين بقوا صامدين ضد مبدأ اعتناق المسيحية وتعاليمها، وفي نفس الوقت الذي تظاهروا فيه في أعين العموم بأنهم مسيحيون طيبون، رغم أنهم كانوا يعيشون في جو إسلامي بحت.[4]

---

[1] ثورة المجاهد الموريسكي سليم المنصور في سلاسل جبال اسبادان البلنسية في عهد الملك شارل الخامس.

[2] – ياسمين، رجاء ، الممارسات الدينية للموريسكيين من خلال ملفات محاكم التفتيش، لقضية فكتوريا فلومينا (1563-156)، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات الموريسكية الأندلسية – مهن الموريسكيين الأندلسيين وحياتهم الدينية، جمع وتقديم عبد التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية والتوثيق والملومات، زغوان، تونس، 1990، ص 28.

[3] – مراد، شهرزاد ، تربية الموريسكيين من خلال الكتابات الأخميادية، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات الموريسكية الأندلسية – مهن الموريسكيين الأندلسيين وحياتهم الدينية، جمع وتقديم عبد التميمي،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية والتوثيق والملومات. زغوان، تونس، 1990، ص 25.

[4] – الغساني، محمد الأندلسي، ،المصدر السابق، ص 54.